Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



مقصودة لذاتها ، ومما استحسنت به هذه القصيدة وقوع كل كلمة فيها موقعها الذى أريدت له من غير حشد مجتلب ولا خلل شائن [١] ، ولذلك كان بعض الشعراء قديمًا يحب أن يُكتَب عنه شعرُه حتى لا يُحرّف ولا يُبدّل [٢] . وهذا يؤكد أن الشعر اختيار من اختيار على كل حال .

إن تغيير الرواية أو التصحيف أو التحريف فى الشعر القديم لا يعد من مسؤولية الشاعر ، لأن الشاعر قال كلمته على الوجه الذى أنشأها به ومضى ، ولكنها من مسؤولية الرواة ومهما يكن فإن كلمة القافية أكثر ثباتا من غيرها حتى إن كثيرا منها فى القصيدة يمكن توقعه ، ولا يكون ذلك إلا إذا كانت القافية معلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم وملائمة لما مر فيه ، وهذا ما يسمى « التوشيح » [٣] وهو – بتعريف قدامة – « أن يكون أول البيت شاهدًا بقافيته ومعناها متعلقا به حتى إن الذى يعرف قافية القصيدة التى البيتُ منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته . مثال ذلك قول الراعى :

وإنْ وُزِنَ الحصى فوزَنْتُ قومى  وجدتُ حصَى ضريبتهم رَزِينا [٤]

---

(١) انظر : عيار الشعر لابن طباطبا العلوى ٤٥ ( تحقيق : الدكتور طه الحاجرى والدكتور محمد زغلول سلام ) .

(٢) جاء فى الحيوان للجاحظ : ١/٤١ « وقد قال ذو الرمة لعيسى بن عمر : اكتب شعرى فالكتاب أحبّ إلىّ من الحفظ ، لأن الأعرابى ينسى الكلمة وقد سهر فى طلبها ليلته فيضع موضعها كلمة فى وزنها ثم ينشدها الناس ، والكتاب ( أى : الكتابة ) لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام » وهذا الخبر نفسه فى العمدة لابن رشيق : ٢/٢٥٠ مع بعض التغيير « ولأمر ما قال ذو الرمة لموسى بن عمرو : اكتب شعرى فالكتاب أعجب إلىّ من الحفظ ، لأن الأعرابى ينسى الكلمة قد تعب فى طلبها ليلة فيضع موضعها كلمة فى وزنها ثم ينشدها الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلامًا بكلام » .

(٣) يقول أبو هلال العسكرى فى الصناعتين : ٣٩٧ « سمى هذا النوع التوشيح ، وهذه التسمية غير لائقة بهذا المعنى ، ولو سمى تبيينا لكان أقرب وهو أن يكون مبدأ الكلام ينبىء عن مقطعه وأوله يخبر بآخره ، وصدره يشهد بعجزه ، حتى لو سمعت شعرا وعرفت رويّه ثم سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه » .

(٤) الحصى : جمع حصاة وهو العقل والرأى . الضريبة : الطبيعة والسجية . الرزين : الأصيل الرأى .